الأسواق والعمائر بخط باب زويلة والسكريين دراسة آثارية وثائقية

د. عوض عوض محمد الإمام (*)

المقدمة:

نتناول فى هذا البحث مجموعة الأسواق والعمائر التى شيدت على جانبى شارع المعز لدين الله (الشارع الأعظم- شارع القصبة) بالمنطقة المحصورة بين باب زويلة جنوباً وبين جامع الفاكهيين بالغورية[١]، موضحين للتغييرات المعمارية التى حدثت لمنشآتها وأسواقها منذ تأسيس مدينة القاهرة ٣٥٨هـ/٩٦٩م، وحتى مجيئ الحملة الفرنسية إلى مصر ١٢١٣هـ/١٧٩٨م، معتمدين فى ذلك على ما ورد فى المصادر التاريخية من ناحية وحجج الوقف المختلفة من ناحية أخرى، وسنلتزم فى معالجتنا لهذه الأسواق والعمائر بالترتيب التاريخى لها، وبتحليل النصوص المصدرية الواردة بشأنها وذلك من خلال المحورين الآتيين:

أولاً: الأسواق.

ثانياً: العمائر.

أولاً: الأسواق

عرض المقريزى عند حديثه عن أسواق القاهرة لسوق القصبة أو سوق الشارع الأعظم، فقال إنه «أشهر الأسواق وأن حوانيته قدرت باثنى عشر ألف حانوت، وهى عامرة بأنواع المآكل والمشارب والأمتعة». وكان أهل مصر يتفاخرون بأنهم يلقون فى كل يوم بما مقداره ألف دينار ذهباً على المزابل وهى قيمة الأوانى الفخارية التى يضع فيها التجار ما يبيعونه من بضائع للمشترين، وأيضاً قيمة القراطيس والخيوط التى يستخدمونها فى تغليف البضائع قبل تقديمها للمشترين[٢]. وذكر المقريزى أن هذا السوق يبدأ من باب زويلة بالضلع الجنوبى لمدينة القاهرة، ويشقها شمالاً فيصل إلى بين القصرين وإلى باب الخرنفش[٣]، وهنا يتفرق إلى طريقين؛ ذات اليمين ويسلك منها إلى الركن المخلق ورحبة باب العيد إلى باب النصر،

(*) أستاذ الآثار الإسلامية المساعد بقسم الآثار الإسلامية بآداب سوهاج.

وذات اليسار يسلك منها إلى الجامع الأقمر وإلى حارة برجوان فإلى باب الفتوح[٤]،

وذكر المقريزى أيضاً أن الدولة الفاطمية وضعت نظاماً صارماً تضمن عدة شروط ألزمت التجار وأصحاب الحوانيت والباعة المتجولين بسوق القصبة بضرورة اتباعها وتنفيذها حفاظاً على نظافة مدينة القاهرة من ناحية، واحتراماً لهيبة قصر الخلافة وساكنيه من ناحية أخرى. وكان من هذه الشروط ألا يمر بقصبة القاهرة حمل تبن، ولا حمل حطب، ولا يسوق أحد فرساً بها، ولا يمر سقاء إلا وراويته مغطاة. وألزمت الدولة صاحب كل حانوت بوضع زير مملوء بالماء أمام حانوته أو بجانبه تحسباً لحدوث أى حريق فيمكن إطفاؤه بسرعة، وأمرته أيضاً بتعليق قنديل على باب حانوته وإضاءته ليلاً. واشترطت الدولة أيضاً وجود قوم بسوق القصبة مهمتهم تنظيفه من الأتربة ورشه بالماء كل يوم، إضافة إلى وجود عدد من الخفراء يطوفون بالسوق ليلاً لحراسة الحوانيت والبضائع[٥].

وأفادنا المقريزى فى معرفة العديد من أسواق القاهرة بخط باب زويلة وحدد مواضعها، وعرفنا بأسمائها القديمة، وأسمائها على عهده بعد أن تغير نشاطها التجارى، فذكر أن من هذه الأسواق:

١- سوق الخلعيين:

قال المقريزى إن الداخل من باب زويلة يجد على يمينه الزقاق الضيق الذى يعرف اليوم- أى فى زمن المقريزى- بسوق الخلعيين، وكان يعرف قديماً بسوق الخشابين[٦]، ومعنى هذا أن سوق الخشابين كان سوقاً فاطمياً وكان يقع بالجهة الشرقية من الشارع الأعظم، وكان مخصصاً لتجارة الأخشاب، وحدث بعد ذلك تغير فى مساحته وصار زقاقاً ينفذ منه إلى حارة الباطلية وخوخة حارة الروم البرانية، ولم تعد تباع فيه الأخشاب وإنما تباع به الملابس والثياب القديمة والمستخدمة من قبل؛ ولذا عرف بسوق الخلعيين. ووصفه المقريزى بأنه من أعمر أسواق القاهرة لكثرة ما يباع فيه من ملابس أهل الدولة[٧].

وأشار أبو السرور البكرى وعلى مبارك إلى أن الزقاق الـذى ذكـره المقريزى عرف بعد ذلك بدرب دغمش[٨]، وكان يتوصل منـه إلـى حمـام القاضى الفاضل المخصص للنساء، ثم عرف هذا الزقاق بعد ذلـك بعطفـة الحمام وكانت على أيامهم مسدودة[٩] (انظر شكل ١).

٢- سوق المؤيد:

عرف هذا السوق بعد بناء السلطان المؤيد شيخ لجامعه بالجهة الغربية من الشارع الأعظم وهو يقع على يسار الداخل من باب زويلة (٨١٨ ٨٢٣هـ/ ١٤١٥/١٤٢٠م). ولعل تسمية السوق بهذا الاسم قد اشتقت إما من اسم السلطان، أو من اسم جامعه الذى عرف باسم مشيده وكلاهما واحد، فالجامع والسوق عرفا باسم السلطان المؤيد شيخ. وورد ذكر هذا السوق فى خطط على باشا مبارك عند تحديده لشارع المناخلية والسكرية[١٠].

٣- سوق الأنماطيين:

يرى بعض الباحثين أن هذا السوق عرف بهذا الاسم لوجود دار به تخصصت فى صناعة الأنماط، وعرف بعد ذلك بسوق المؤيد، ثم عرف فى العصر العثمانى بعدة وظائف حرفية، ولكن التسميتين الأخريتين لم تثبتا وتشتهرا بين الناس؛ ولذا ظل مشهوراً بتسميته الأولى، أى بسوق الأنماطيين[١١].

والحق أن هذا التحديد لموضع السوق والتغييرات التى حـدثت علـى اسمه غير دقيق وهو ما سوف نوضحه عند حديثنا عـن سـوق الحـدادين والحجارين. (انظر تصور أ، ب).

٤- سوق الحدادين والحجارين:

ذكر المقريزى فى خططه أن الداخل من باب زويلة وبعد وصوله إلى موضع باب زويلة الأول- باب جوهر الصقلى- «يسلك أمامه فيجد على يسرته الزقاق المسلوك فيه إلى سوق الحدادين والحجارين المعروف اليوم بسوق الأنماطيين وسكن الملاهى وإلى المحمودية»[١٢].

ونستخلص من هذا النص أن السائر بالجهة الغربية من الشارع الأعظم يجد على يمينه موضع باب زويلة الذى شيده جوهر مع تأسيسه لمدينة القاهرة ٣٥٨هـ/٩٦٩م[١٣]، وعلى يساره يجد زقاقاً يتوصل منه إلى سوق الحدادين والحجارين المعروف زمن المقريزى بسوق الأتماطيين وسكن الملاهى، وهذا يعنى أن سوق المؤيد كان فى موضع وكان سوق الأتماطيين فى موضع آخر، وبالتالى فلم يعرف سوق المؤيد بسوق الأتماطيين وهناك ملاحظة جديرة بأن تؤخذ فى الاعتبار وهى أن السلطان المؤيد شيخ مات عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م، والمقريزى مات ٨٤٥هـ/١٤٤٢م أى بعده بواحد وعشرين عاماً، أى أن المقريزى كان معاصراً لتلك الأحداث وراصداً لكل شئ، ولا يعقل أن يقول إن سوق الأتماطيين هو الذى عرف بعد ذلك بسوق المؤيد، ولذا فالصواب هو ما ورد فى نص المقريزى. (انظر تصور أ، ب).

٥- سوق الأخفافيين:

يتوصل لسوق الأخفافيين من نفس الزقاق المتوصل منه لسوق الأتماطيين- السابق الحديث عنه- حسبما ذكر المقريزى[١٤]. وكان يباع فى هذا السوق أخفاف النساء ونعالهن[١٥]؛ فعرف بهذا الاسم. (انظر تصور أ)

٦- سوق الغرابليين والمناخليين:

ذكر المقريزى هذا السوق حينما تحدث عن مسجد سام بن نوح وقال إن هذا المسجد يقع فى وسط سوق الغرابليين والماخليين ومن معهم من الضبيين [١٦]، وذكره مرة ثانية فى معرض حديثه عن سوق الشوايين وقال إن المساحة التى تركها بدر الجمالى بين باب زويلة الأول وبين بابه نتج عنها اتساع ما بين سوق الشرائحيين وبين باب زويلة الذى شيده الأمير بدر الجمالى، وصار فيها على عهد المقريزى «سوق الغرابليين». وكان بهذا السوق عدة حوانيت تخصصت فى عمل الغرابيل والمناخل وتقابلهم عدة حوانيت تصنع بها الأغلاق المعروفة بالضبب[١٧]. (انظر تصور ب). وعرف هذا السوق فى العصر العثمانى بسوق السكريين حسبما جاء فى وثيقة وقف الست نفيسة البيضاء[١٨]. (انظر تصور ج)

٧- سوقالشرائحيين(الشوايين):

كان سوق الشرايحيين أول سوق وضع بالقاهرة في العصر الفاطمي ٣٦٥هـ وظل يعرف بهذا الاسم إلى أن سكن فيه عدة من بياعى الشواء، وكان ذلك فى حدود السبعمائة من سنى الهجرة، وهنا زالت عنه النسبة إلى الشرائحيين وعرف بالشوايين، وعلى يمنة السالك في هذا السوق يوجد الجامع الظافرى المعروف بجامع الفاكهيين[١٩]. (انظر شكل ١).

ثانياً: العمائر

١- عمائر القاضى الفاضل بشارع المناخلية والسكرية[٢٠]:

أ- حمامى الفاضل: (انظر تصور أ، ب، ج)

شيد القاضى الفاضل حمامين، خصص أحدهما للرجال وهو من الحمامات التى ترجع للعصر الفاطمى، ولم يزل باقياً ويعرف حالياً بـ «حمام السكرية، وبحمام السكريين» وموقعه بوسط شارع السكرية تجاه الباب الكبير للجامع المؤيدى[٢١]،ويفتح بابه على هذا الشارع، أى أنه يقع بالجهة الشرقية من شارع القصبة أو شارع المعز لدين الله ويفتح بابه عليه. أما الحمام الآخر فكان مخصصاً للنساء، وقد اندثر ولم يعد له أى أثر. وكان يتوصل إليه من الزقاق الضيق الذى على يمين الداخل من باب زويلة حيث كان يوجد سوق الخلعيين، أى أن هذا الحمام كان يقع خلف حمام الرجال[٢٢]. وكان لهذين الحمامين مستوقد واحد[٢٣]. ويذكر أن المقريزى قد تحدث عن الحمامين فى موضعين من خططه؛ الأول عندما تحدث عن درب البنادين- بحارة الروم- وقال: إن هذا الدرب يؤدى إلى حمام الفاضل المخصص للرجال. أما المرة الثانية فوردت حينما تحدث عن درب دغمش وقال إنه ينفذ منه إلى الخوخة التى قبالة حمام الفاضل المرسوم لدخول النساء[٢٤]. ومما يؤسف له أن حمام النساء قد اندثر، ونتيجة لذلك ساد الاعتقاد بأن القاضى الفاضل لم يشيد إلا حماماً واحداً فقط هو حمام السكرية، غير أن المصادر والوثائق ذكرت أنه شيد حمامين، وهذا ما أكدته أحدث دراسة آثارية عنهما معتمدة على ما جاء فى وثيقة وقف عثمان المطرباز المؤرخة فى ربيع الآخر ١١٨١هـ/١٧٦٨م[٢٥].

وتجدر الإشارة إلى أن هذين الحمامين قد أدرجا فى العصر المملوكى فى أوقاف البيمارستان الذى بدأ السلطان المنصور قلاوون فى تشييده هو ومدرسته ومدفنه فى عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م وفرغ من بنائهم عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م. وقد نصت بعض الوثائق على ذلك(٢٦)، وكشفت وثيقة وقف عثمان المطرباز أن تزويد هذين الحمامين بالماء كان يتم من ساقية جارية هى الأخرى فى أوقاف البيمارستان المنصورى(٢٧).

ب- قيسارية الفاضل وربعها:

شيد القاضى الفاضل أيضاً قيسارية عرفت باسمه، وكانت تشغل المساحة المحصورة بين باب زويلة الذى شيده بدر الجمالى وبين حمام السكرية (حمام القاضى المخصص للرجال). وتقع هذه القيسارية بالجهة الشرقية من الشارع الأعظم، وتطل عليه بواجهتها الرئيسية التى كانت تضم العديد من الحوانيت يعلوها ربع عرف «بربع القاضى». ويرجح وجود بابين بهذه الواجهة؛ أحدهما يصعد منه الىالربع، والآخر هو الرئيس يدخل منه إلى حوش القيسارية الذى تطل عليه مجموعة من الحواصل أو المخازن ظهرها للحوانيت التى بالواجهة، وفوق هذه الحواصل والحوانيت توجد مساكن الربع الذى ربما كان يشغل مستويين رأسيين يمثلان ربع القيسارية.

وورد فى خطط المقريزى أن هذه القيسارية تقع «على يمنه من يدخل من باب زويلة، عرفت باسم القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى، وهى الآن- أى على عهد المقريزى- جارية فى وقف المارستان المنصورى». وذكر المقريزى أن هذه القيسارية وقفت بضع عشرة مرة؛ منها مرتين أو أكثر زف كتاب وقفها بالأغانى فى شوارع القاهرة، وهى الآن تشتمل على بحرة ماء للوضوء بوسطها، وأخرى بجانبها. ويباع بهذه القيسارية جهاز النساء وشوارهن، ويعلوها ربع فيه عدة مساكن(٢٨).(انظر تصور أ، ب، جـ، شكل ١)

أوقاف السلطان المنصور قلاوون على مجموعته المعمارية وزيادتها بعد موته:

بعد أن أتم السلطان المنصور قلاوون بناء مجموعته المعمارية ٦٨٤هـ/١٢٨٥م،وقف عليها من أملاكه من القياسر والرباع والحوانيت والحمامات والفنادق والأحكار وغير ذلك من الضياع والأراضى الزراعية بمصر والشام. وكان يتحصل من هذه الأوقاف أجرة فى كل شهر جملة كثيرة من الأموال(٢٩)، وكان ريع الوقف- أى دخله- يكفى للصرف على كل المتطلبات التى حددها المنصور قلاوون فى كتاب وقفه(٣٠).

زيادة أوقاف البيمارستان المنصورى:

على الرغم من كثرة الأوقاف التى رصدها السلطان المنصور قلاوون وكثرة ووفرة ريعها واشتراطه الصرف منها على مجموعته المعمارية، وكان النصيب الأكبر منها مخصصاً للصرف منه على البيمارستان، نقول أنه وعلى الرغم من ذلك فقد حظى هذا البيمارستان بعناية ورعاية بعض السلاطين المماليك وأمرائهم، نظراً لأهمية الدور الاجتماعى الذى يقوم به والرعاية الصحية التى يقدمها بلا تفرقة لكل أفراد الشعب المصرى صغيرهم قبل كبيرهم وفقيرهم قبل غنيهم، ومما يؤكد ذلك أن السيدة جانم- عتيقة الجمالى يوسف- زوجة السيفى يشبك الخازندار وقفت على البيمارستان ١٦٨ فداناً بجهة أطفيح(٣١).

ووقف السلطان شعبان بن حسين على البيمارستان أيضاً جزءاً من ريع أوقافه،وكذلك فعل جراح العظام الشهير أبو زكريا يحيى بن موسى. أما السلطان الأشرف برسباى فقد خصص له ثلث ريع ناحية سردوس ونقش ذلك على واجهة خانقاته بالصحراء(٣٢)، ولا ننسى أن بعض وثائق الوقف العثمانية نصت على أن حمامى الفاضل وقيساريته والربع الذى يعلوها قد أدرجا ضمن أوقاف البيمارستان المنصورى، واستمر ذلك حتى عام ١٢٠٦هـ/١٧٩١م(٣٣).

التصرفات التى حدثت على بعض أوقاف البيمارستان المنصورى فى العصر العثمانى:

أ- بناء مطبخ للسكر على أرض قيسارية الفاضل:

ظل وقف البيمارستان المنصور فى نمو وازدياد طوال عصر المماليك، واستمر ذلك فى العصر العثمانى حتى عام ١٠٠١هـ/١٥٩٢م حين نعلم أن الجمالى محمد عبد الله بن محمد قام بشراء قيسارية الفاضل وأرضها وهى خربة مهدمة، وسجل هذا الشراء بمحكمة الباب العالى ١٠٠١هـ/١٥٩٢م، ثم شيد على أنقاضها مطبخاً للسكر يعلوه ربع أدرجة فى أوقافه ١٠٠٧هـ/١٥٩٨م حسبما ورد فى وثيقة وقفه(٣٤)، التى نصت على أن ما يشهد بملكية الواقف لهذه المكان «قبل التعمير والتجديد مكتوب التبايع الورق الشامى الأوصال/ المسطر من الباب العالى بالقاهرة المحروسة...»(٣٥).

وذكرت الوثيقة حدود المطبخ فنصت أن «الحد القبلى ينتهى إلى بيت قهوة وقف المرحومة سمرا ووقف بيليك السعدى. والحد البحرى ينتهى إلى الزقاق المذكور وفيه الواجهة البحرية وباب الرواق المنفرد عن الربع المذكور. والحد الشرقى ينتهى بعضه إلى باقى الزقاق المذكور وفيه بعض/ الواجهة الشرقية، وباقية لمكان يعرف بأحمد بن سودون. والحد الغربى ينتهى إلى الطريق العام الفاصلة بين ذلك وبين المدرسة المؤيدية، وفيه الواجهة الغربية والحرمدانات/ وباب المطبخ المذكور، وباب مطلع الأروقة المذكورة، ومطل الطاقات والشبابيك والمناور...»(٣٦). (انظر شكل ٢)

وأمكن تحديد موضع مطبخ السكر هذا فى ضوء ما ورد بالوثيقة بشأن موقعه وحدوده بأنه كان يقع بالجهة الشرقية من شارع المعز لدين الله فى مواجهة باب جامع المؤيد شيخ، وهو الموقع الذى به حالياً وكالة نفيسة البيضاء.التي نرجح أن تكون قد اشترت أرض هذا المطبخ بعدما خرب وعمرت وكالتها وسبيلها على أرضه وعلى ما استأجرته من أوقاف البيمارستان المنصورى بذات المنطقة(٣٧). (انظر شكل ٣).

ب- بناء وكالة نفيسة البيضاء على مساحة من أرض قيسارية الفاضل:

عرضنا فيما سبق للتصرف الشرعى الذى حدث على قيسارية الفاضل ١٠٠١هـ/١٥٩٢م، والذى اشترى بموجبه الجمالى محمد عبد الله محمد جزءاً من أرضها وشيد عليها مطبخاً للسكر أدرجه فى أوقافه. وتجدر الإشارة إلى أن هذه القيسارية عرفت فى العصر العثمانى بوكالة التفاح وأن ربعها عرف بربع الزهار وبربع الفران، وحدث بعد ذلك تصرف شرعى حين استأجرت الست نفيسة[٣٨] البيضاء بعض الوحدات المعمارية بقيسارية الفاضل وربعها من ناظر وقف البيمارستان المنصورى عن طريق الخلو، ووقفتها بعد أن حكرتها على نفسها وذريتها نظير مبلغ مقداره (١٣,٨١٥,٥ نصف فضة) بحسب ما جاء فى كتاب وقفها المؤرخ فى ٨ ذى القعدة ١٢٠٦هـ/١٧٩١م[٣٩]، ويشهد للواقفة بحقها فى الأماكن الموقوفة حجة إسقاط شرعى مسطرة من القسمة العسكرية مؤرخة فى ١٨ ذى القعدة ١١٩٦هـ/١٧٨٨م[٤٠]. (انظر شكل ٣، اللوحة ١-٣)

ونود قبل حصر الوحدات المعمارية التى آلت للست نفيسة البيضاء عن طريق الخلو، أن تعرف مصطلحى الخلو- الحكر.

التعريف بمصطلح الخلو:

الخلو نوع من التعاملات والتصرفات التى تحدث على العقارات الموقوفة والأصل فى نشأته أن ناظر الوقف لا يستطيع ترميم هذه العقارات لقلة ريع الوقف، ولذلك يقوم بأخذ مبلغ من المال من المستأجر يعادل أجرة المثل وربما أقل من أجرة مثيله إذا لم يجد الناظر من يستأجره بالإيجار المقبول. وأفتى بعض الفقهاء بأنه لا يحق للواقف أو ناظر الوقف إخراج صاحب منفعة الخلو من العين الموقوفة طالما يدفع الإيجار، ثم أنهم اجازوا للمستأجر صاحب منفعة الخلو أن يبيع هذا الحق لمستأجر آخر مقابل مبلغ من المال. كما أجاز بعض الفقهاء لصاحب منفعة الخلو أن يقف العقار الذى استأجره. ويرى البعض أن أول ظهور لفكرة الخلو راجع إلى السلطان الغورى الذى أسكن التجار فى حوانيته بالغورية بالخلو، فكانت هذه بدعة سار عليها الناس من بعده[٤١]، ومع بداية العصر العثمانى أثار أمر الخلو

ضجة وخلافاً شديداً بين الفقهاء، فمثلاً أجاز المالكيون الخلو بيعاً وشراءً ووقفاً، فى حين أن بعض الفقهاء الحنفية أجازوه، وخالفهم بعض فقهاء مذهبهم، خوفاً من تدنى المبلغ المدفوع عن القيمة الحقيقية للعين المؤجرة وانخفاضها عن أجرة المثل وما يترتب على ذلك من نقص فى موارد الوقف أو ريعه. وخشى الفقهاء الرافضون لأمر الخلو أن يحدث تلاعب أو اتفاق بين ناظر الوقف والمستأجر بخصوص القيمة المادية وانخفاضها ولتغليب مصالحهم الشخصية على حساب مصلحة الوقف(٤٢).

ولا يغيب عن أذهاننا أن الخلو- وفق التعريف السابق- إنما يتفق مع التصرف على العين الموقوفة بتأجيرها لمدة طويلة بلغت ثلاثين سنة. فكان ناظر الوقف يتحايل لتنفيذ ذلك- الإيجار الطويل- عن طريق تحرير عشرة عقود للمستأجر، مدة كل عقد ثلاث سنوات، وبهذا التصرف لا يكون مخالفاً للرأى الشرعى القائل بأن الأصل فى الإيجار أنه يمتد لمدة سنة، ثم أصبح هناك تعارف على أن عقد الإيجار فى العقارات يبرم لمدة ثلاث سنوات، وبالرغم من ذلك فقد أجاز الفقهاء الإيجار الطويل فى حالة عجز ريع الوقف عن إجراء الإصلاحات والترميمات الواجبة بالعقارات الموقوفة، حتى وصلت مدة الإيجار إلى تسعين سنة، فكان يكتب ثلاثين عقداً مدة كل عقد ثلاث سنوات، أى أن الإيجار الطويل والخلو يعطيان لناظر الوقف حرية التصرف فى إدارة شئون الوقف والمحافظة عليه.

بقيت نقطة مهمة وهى أن المستأجر- المستفيد بمنفعة الخلو- عليه إصلاح وترميم العين التى آلت إليه ويخصم المبلغ المنصرف من قيمة الخلو. ويمكن أيضاً لصاحب الخلو البناء على أرض العقار إن كان خرباً أو ترميمه إن كان متصدعاً وله بعد ذلك حق وقفه على نفسه وعلى ذريته ونسله طالما أنه يسدد القيمة المادية للخلو كلما حان وقتها، ويستطيع أيضاً أن يبيع حق منفعة الخلو لغيره(٤٣).

التعريف بمصطلح الحكر:

الحكر هو عقد إيجار يقصد به استبقاء الأرض الموقوفة تحت يد المحتكر- المستأجر- مع الإذن له من ناظر الوقف بالبناء عليها أو زراعتها

إن كانت أطياناً زراعية، ويصبح من حق المحتكر بيع أو وقف ما بناه من عقار شريطة أن يكون البيع منصباً على البناء فقط وليس على الأرض المشيد عليها هذا البناء، لأنها جارية فى وقف غيره[٤٤].

منشآت الست نفيسة على أنقاض قيسارية الفاضل ومطبخ السكر:

يمكننا القول الآن وفى ضوء التعريف بمصطلحى الخلو والحكر بأن السيدة الجليلة نفيسة المرادية تمكنت من تأجير بعض الوحدات المعمارية بقيسارية الفاضل الجارية فى وقف البيمارستان المنصورى من ناظر وقفها، ثم حكرت أرض هذه الوحدات أى أنها أخذت منه عقداً بالبناء على أرض هذه الوحدات ما ترغب فى بنائه، وهذا ما حدث بالفعل، حيث أنها قامت بهدم هذه الوحدات وشيدت فى موضعها وكالة وسبيلاً باقيان إلى وقتنا هذا[٤٥]، ولعلها استفادت من الأساسات وبعض جدران الوحدات المعمارية أو الجدران القديمة وأدمجت ذلك فى بناء وكالتها وسبيلها[٤٦]. (انظر شكل ٢، ٣ واللوحات ١ - ٣) (انظر تصور جـ).

ونستطيع ذكر الأماكن التى آلت إليها بالخلو بحسب ما ورد فى وثيقة وقفها[٤٧]:

(١) جميع كامل منفعة الخلو والسكنى والانتفاع بكامل المكان الكاين بباب زويلة بالربع علو الحمام[٤٨] بالدور السفلى المطل على الوكالة[٤٩]. الجارى ذلك فى وقف البيمارستان المنصورى[٥٠].

(٢) جميع خلو المكان الذى أصله ثلاث طباق وكان أصل الثلاث طباق طبقة واحدة الكائن ذلك بمصر المحروسة بخط باب زويلة بالربع الذى تجاه مسجد المرحوم السلطان المؤيد بالدور العلوى.. المعروف بربع الفاضل المتوصل لذلك من باب حمام السكريين المشتمل ذلك بالدلالة المذكورة على رواقين مطلين على الشارع الأعظم،وطبقة مطلة على الوكالة التى هناك الجارى ذلك فى وقف البيمارستان المنصورى[٥١].

(٣) جميع خلو الطبقة الكائنة بمصر المحروسة بخط باب زويلة بسوق السكريين بالربع الذى هناك بالدور السفلى بالربع المرقوم.

(٤) جميع خلو الحانوت الكائنة بمصر المحروسة بخط باب زويلة بسوق السكريين فيما بين حمام الفاضل وحانوت الخواجا محمد أبو الجود السكرى.

(٥) جميع منفعة خلو المكان الذى أصله مكانين متلاصقين لبعضهما البعض وخلطاً وصارا مكاناً واحداً مستقلاً على حدته الكاين ذلك بمصر المحروسة بخط باب زويلة تجاه مسجد السلطان المؤيد شيخ بالربع الذى بابه بداخل حمام السكريين بالدور السفلى من الربع المرقوم علو باب الحمام المذكور.

(٦) جميع خلو المكان الكاين بمصر المحروسة بخط باب زويلة بالسكريين بربع الفاضل المشتمل ذلك بالدلالة المذكورة أيضاً على منافق وحقوق الجارى أصل ذلك فى أوقاف البيمارستان المنصورى.

(٧) جميع منفعة الخلو والسكنى والانتفاع بكامل الطبقة الكائنة بمصر المحروسة بخط باب زويلة بربع الفاضل بالدور العلوى على وكالة التفاح[٥٢].

(٨) جميع خلو الحانوت الكائنة بمصر المحروسة بخط السكريين[٥٣]، بباب زويلة المعروفة بالصغرى.

(٩) جميع خلو الطبقتين الكائنتين بمصر المحروسة بخط باب زويلة بربع الفاضل المطل ذلك والمجاور لوكالة التفاح.

(١٠) جميع خلو الحاصل الكائن بالخط المذكور داخل وكالة الفاضل.

(١١) جميع خلو المكان الكائن بمصر المحروسة بربع الفاضل بالسكريين بباب زويلة بالدور السفلى المطل على وكالة التفاح.

(١٢) جميع خلو الحانوت الكائنة بمصر المحروسة بخط باب زويلة بسوق السكريين تجاه مسجد السلطان مؤيد شيخ فيما بين المقعد المجاور لباب وكالة الفاضل وحانوت سكن محمد القرن.

(١٣) جميع خلو الحانوت المعروفة بالمقعد الكائنة بالخط المرقوم المجاورة لباب وكالة التفاح.

(١٤) جميع خلو الحاصلين داخل وكالة التفاح.

(١٥) جميع خلو كامل الخمسة حواصل الكائنين بمصر المحروسة بخط باب زويلة داخل عطفة الزهار المتوصل منها لحارة الروم.

(١٦) جميع خلو الحانوتين المتلاصقتين لبعضهما الذى كان أصلهما حانوتاً واحداً الكائنين بخط باب زويلة بالسكريين.

(١٧) جميع خلو المكان الكائن بمصر المحروسة بربع الفاضل بخط باب زويلة بالدور العلوى.

(١٨) جميع خلو الطبقة الكائنة بمصر المحروسة بخط باب زويلة بربع الزهار بالدور السفلى من جملة الثمان طبقات وهى الطبقة الخامسة.

(١٩) جميع خلو الطبقة والنصف الذى صار الآن بيتاً واحداً الكائن ذلك بالقاهرة المحروسة بربع الفاضل بالدور العلوى بخط باب زويلة المطل ذلك على الشارع.

(٢٠) جميع خلو الطبقة الكائنة بمصر المحروسة بخط باب زويلة بربع الفاضل المعروف بالزردار المطل على الشارع.

(٢١) جميع خلو المكان بمصر المحروسة بربع الزهار بالدور العلوى المعروف بسكن كوسا حسن مستحفظان المطل على عطفة حمام النساء[٥٤].

(٢٢) جميع خلو الحانوت الكائنة بمصر المحروسة بخط السكريين بباب زويلة تجاه جامع السلطان المؤيد شيخ.

(٢٣) جميع خلو المكان الكائن بمصر المحروسة بخط باب زويلة بربع الفاضل بالدور العلوى برأس السلم التى هناك المشتمل ذلك بالدلالة المذكورة أيضاً على باب يصل منه إلى دهليز به حفرة مرحاض يدخل منه إلى رواق كبير مطل على الشارع المقابل لمسجد السلطان المؤيد شيخ به سندرة من الخشب وسلم يصعد من عليه إلى فسحة بها حفرة مرحاض، ويتوصل من السلم المذكور إلى السطح العالى على ذلك وبالسطح المذكور أوده ومنافع.

(٢٤) جميع خلو الطبقة الكائنة بمصر المحروسة بخط باب زويلة بربع الزهار بالدور العلوى أول بيت من المطلع.

(٢٥) جميع خلو المكانين المعروف أحدهما بالطبقة المعبر عنها بالأودة الكائنين بمصر المحروسة بربع الفاضل المعروف بالزهار وبربع الفرن[٥٥]، بخط باب زويلة المتوصل لذلك من عطفة حمام النساء.

(٢٦) جميع خلو المكان الكائن بمصر المحروسة بربع الفاضل المطل على السكريين بخط باب زويلة علو وكالة التفاح بالدور العلوى.

(٢٧) جميع الحصة التى قدرها النصف والربع ثمانية عشر قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً على الشيوع فى كامل الحانوتين والحاصل بجوارهما الكائن ذلك بمصر المحروسة بخط باب زويلة بسوق السكريين على رأس عطفة المرماه.

(٢٨) جميع منفعة التواجر ومبلغ الدين والأجر المعجلة والإذن بالعمارة بكامل الطبقة الكائنة بمصر المحروسة بخط باب زويلة بالدور العلوى أيضاً على باب وكالة التفاح المطل على الشارع تجاه مسجد المؤيد شيخ.

(٢٩) جميع خلو الثلاث حواصل الكائنين بمصر المحروسة بوكالة الفاضل بالسكريين بالقرب من باب زويلة تجاه جامع السلطان المؤيد شيخ.

(٣٠) جميع خلو الطبقة المعروفة بالرواق الكائنة بربع الفاضل بالدور السفلى بصدر الربع المذكور الكائن ذلك بمصر المحروسة بباب زويلة بالسكريين المتوصل إليه من باب الحمام.

(٣١) جميع خلو الحانوت المعروف سابقاً بالمقعد الكائن بمصر المحروسة بخط باب زويلة بكتف الوكالة المعروفة بالفاضل والتفاح[٥٦].

(٣٢) جميع الخمسة أماكن الكائنين بمصر المحروسة بخط باب زويلة أربعة منهم بربع الزهار منهم اثنان بالدور العلوى والاثنان الآخران بالدور السفلى والخامس بربع الفاضل بخط السكريين بباب زويلة.

(٣٣) جميع خلو الثلاث حواصل الكائنين بالخط المرقوم داخل عطفة حمام النساء المعروفة بعطفة المرماه.

(٣٤) جميع خلو المكان الكائن بمصر المحروسة بخط باب زويلة تجاه جامع السلطان المؤيد شيخ بربع الفاضل بالدور العلوى المطل على وكالة التفاح.

(٣٥) جميع خلو الطبقة الكائنة بمصر المحروسة بخط باب زويلة بربع الفاضل المذكور بالدور العلوى.

(٣٦) جميع خلو المقعد والخزانة سفله الكائن ذلك بمصر المحروسة بخط باب زويلة... برأس عطفة حمام النساء بسوق السكريين.

(٣٧) جميع خلو الطبقة بالربع الكائنة بمصر المحروسة بباب زويلة بسوق السكريين.

(٣٨) جميع خلو الطبقة الكائنة بخط باب زويلة داخل درب الفاضل المعروف الآن بدرب الزهار المطل على الشارع علو رأس السلم.

(٣٩) جميع الحانوت الكائنة بخط باب زويلة بسوق السكرييين تجاه المدرسة المؤيدية[٥٧].

(٤٠) جميع كامل منفعة الخلو والسكن والانتفاع بجميع ملك الحانوت الكائن بمصر المحروسة بخط باب زويلة بسوق السكريين.

(٤١) جميع منفعة الخلو والسكنى والانتفاع بكامل المكان الكائن بمصر المحروسة بخط باب زويلة بالسكريين بربع الفاضل تجاه مدرسة المؤيد شيخ.

(٤٢) جميع خلو الحانوت والثلاث حواصل بداخل الوكالة الكائنة بمصر المحروسة بخط باب زويلة بالسكريين تجاه جامع السلطان المؤيد شيخ المعروفة بوكالة التفاح.

(٤٣) جميع خلو كامل الحانوت الكائنة بمصر المحروسة بخط السكريين بباب زويلة تجاه جامع المؤيد شيخ.

(٤٤) جميع خلو المكان الكائن بمصر المحروسة بخط باب زويلة بالسكريين بالدور العلوى.

(٤٥) جميع خلو الحاصلين الكائنين بمصر المحروسة بخط باب زويلة والسكريين بوكالة التفاح المعروفة سابقاً بوكالة الفاضل[٥٨].

(٤٦) جميع خلو الحاصل الكائن بمصر المحروسة بخط باب زويلة بوكالة التفاح على يمنه الداخل من باب الوكالة المذكورة، وهو ثانى حاصل بالوكالة المجاور لحاصل البواب ولحاصل الباقرجى.

(٤٧) جميع خلو الحانوت الكائنة بمصر المحروسة بخط باب زويلة بالسكريين.

(٤٨) جميع منفعة خلو الطبقة الكائنة بالخط المذكور بربع الزهار المعروف بربع الفاضل بالدور العلوى.

(٤٩) جميع خلو الحاصل الكائن بالخط المذكور داخل وكالة التفاح بصدر الوكالة.

(٥٠) جميع خلو الحاصل الكائن بمصر المحروسة داخل وكالة التفاح المذكورة بباب زويلة بالسكريين تجاه جامع مؤيد شيخ.

(٥١) جميع الطبقتين الكائنتين بمصر المحروسة بخط السكريين بربع الزهار المعروف بربع الفاضل المتوصل إليه من عطفة حمام النساء، أحدهما بالدور السفلى.

(٥٢) جميع خلو المكانين الكائنين بمصر المحروسة بخط باب زويلة بربع الفاضل وربع الزهار أحدهما بالدور العلوى بربع الفاضل والثانى بالدور السفلى بربع الزهار.

(٥٣) جميع ملك خلو الحانوت الكائنة بمصر المحروسة بخط باب زويلة بالسكريين تجاه جامع المؤيد شيخ المعروفة سابقاً بسكن شحاته السكرى.

(٥٤) جميع خلو كامل المكانين الذى أصلهما طبقة ونصف طبقة الكائنة بمصر المحروسة بخط باب زويلة بالسكريين بالربع الذى علو الحمام المقابل لمقام مسجد السلطان المؤيد شيخ.

(٥٥) جميع ملك خلو البيت الكائن بمصر المحروسة بربع السكريين بالدور السفلى المعروف بربع الفاضل من جملة البيتين المطلين على وكالة التفاح.

(٥٦) جميع خلو الطبقة الكائنة بخط باب زويلة بالربع المذكور بالدور السفلى على باب وكالة التفاح المطلة على الشارع الأعظم المعروفة بالقصر تجاه مسجد المؤيد شيخ.

(٥٧) جميع خلو المكان الكائن بمصر المحروسة بخط باب زويلة بربع السكريين المعروف بربع الفاضل بالدور العلوى.

(٥٨) جميع خلو كامل البيت الكائن بمصر المحروسة بربع السكريين بخط باب زويلة بالدور السفلى المطلة على وكالة التفاح.

(٥٩) جميع خلو الطبقة الكائنة بمصر المحروسة بخط باب زويلة بربع الفاضل تجاه جامع السلطان مؤيد شيخ.

(٦٠) جميع خلو البيت الكائن بخط باب زويلة بمصر المحروسة بربع الزهار.

(٦١) جميع خلو الطبقة الكائنة بالربع المذكور بالدور السفلى المعروفة بالسكريين.

(٦٢) جميع ملك وخلو الطبقة الكائنة بمصر المحروسة بخط باب زويلة بربع الفاضل بالدور السفلى المطل على الشارع تجاه مسجد المؤيد.

(٦٣) جميع الخلو والسكنى والانتفاع بكامل المكان الكائن بمصر المحروسة بخط باب زويلة بربع السكريين علو الحمام بالدور العلوى.

(٦٤) جميع ملك وخلو المكان الكائن بمصر المحروسة بخط باب زويلة تجاه جامع المؤيد شيخ بربع الفاضل المتوصل إليه من باب الحمام بالدور السفلى.

(٦٥) جميع خلو الحانوتين الكائنين بمصر المحروسة بباب زويلة بالسكريين المجاورة أحدهما لباب الحمام وحانوت أحمد الحلاق تجاه مسجد المؤيد.

(٦٦) جميع خلو الطبقة الكائنة بمصر المحروسة بباب زويلة المطلة على الشارع على سوق السكريين المتوصل لها من بابين أحدهما من درب

حمزة الجلاد والثانى بدرب الفاضل داخل باب حمام الرجال المقابل لباب جامع المؤيد.

٢- العمائر التى شيد جامع المؤيد شيخ على أرضها:

شيد السلطان المؤيد شيخ جامعه ٨١٨-٨٢٢هـ/١٤١٥-١٤١٩م[٥٩]، وكان يشغل موضعه سجن متولى القاهرة (خزانة شمائل) وقيسارية الأمير سنقر الأشقر، وقيسارية الأمير بهاء الدين أرسلان. (انظر تصور ب، جـ، شكل ٢، ٣)

أ- خزانة شمائل:

حدد المقريزى موضعها بقوله إنها «كانت بجوار باب زويلة على يسره من دخل منه بجوار السور. عرفت بالأمير علم الدين شمائل والى القاهرة فى أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب»[٦٠]، ثم وصفها المقريزى بأنها «كانت من أشنع السجون وأقبحها منظراً، يحبس فيها من وجب عليه القتل أو القطع من السراق وقطاع الطريق، ومن يريد السلطان إهلاكه من المماليك وأصحاب الجرائم العظيمة»[٦١]. (انظر تصور أ، شكل ١)

ب- قيسارية الأمير بهاء الدين أرسلان:

شيدها الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار الناصرى، كانت تقع فيما بين درب الصغيرة والحجارين[٦٢]. (انظر تصور ب)

خلاصة البحث:

كشف البحث عن مجموعة من الأسواق والعمائر التى كانت بخط زويلة أو خط السكريين والمناخلية، وأظهرت فى ضوء النصوص المصدرية والوثائقية كيف ومتى تغير نشاط بعضها واختلفت مسمياتها وبعضها أختفت وظهرت أخرى فى مكانها كسوق الخشابين الفاطمى الذى عرف فى العصر المملوكى بسوق الخلعيين وسوق الحدادين والحجارين الذى عرف هو الآخر فى العصر المملوكى بسوق الأتماطيين وسوق الشرائحيين الذى عرف فيما بعد بسوق الشوايين، وظهر فى العصر العثمانى سوق السكريين.

وكشف البحث أيضاً عن العمائر التى كانت موجودة بمنطقة الدراسة واندثرت أو ما هو باق منها إلى الآن وكيف تغيرت مسميات بعضها كقيسارية الفاضل التى عرفت فى العصر الفاطمى باسمه أولاً ثم عرفت بعد ذلك فى العصر العثمانى بوكالة التفاح، وأن ربعها عرف أولاً بربع الفاضل، ثم عرف فى العصر العثمانى بربع الزهار وبربع الفران ورغم ذلك ظل اسم ربع الفاضل هو الأكثر شهرة واستخداماً.

أوضحت الدراسة التغيرات المعمارية التى طرأت على قيسارية الفاضل فى العصر العثمانى سواء فيما يتعلق بتسميتها بوكالة التفاح أو من حيث بناء مطبخ للسكر على جزء من أرضها فيما بين عامى ١٠٠١-١٠٠٧هـ/١٥٩٢-١٥٩٨م. ثم حدث أهم تغيير معمارى بها حينما شيدت السيدة نفيسة البيضاء وكالتها وسبيلها على أرض هذه القيسارية، وهما الأثران الباقيان إلى وقتنا هذا رغم سوء الاستخدام البشرى لها من جانب، وما حل بها من تهدم وتصدع خاصة فى ربعها بفعل عوادى الزمن من جانب آخر.

حواشي البحث:

(١) جامع الفاكهيين (أثر رقم ١٠٩): أحد الجوامع الفاطمية، شيده الخليفة الظافر بنصر الله أبو منصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله ٥٤٣هـ/١١٤٨م وكان يعرف أولاً بالجامع الأفخر. وصفه المقريزى بأنه يقع وسط السوق الذى كان يعرف قديما بسوق الشرائحيين المعروف على زمن المقريزى بسوق الشوايين. للمزيد انظر: المقريزى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة التحرير، بدون جـ٢، ص٦٤-٦٥؛ حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، دار الكتب المصرية ١٩٤٦م، ص٧٤-٧٥؛ د. سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧١م، جـ١، ص ص٣٤١-٣٤٧.

(٢) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢، ص ص٤٥٦-٤٦٠؛ ج. عبد المنعم سلطان عبد الحميد، الأسواق فى العصر الفاطمى، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٧م، ص١٨؛ د. قاسم عبده قاسم، أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة ١٩٧٨م؛ د. أيمن فؤاد السيد، التطور العمرانى ل
مدينة القاهرة منذ نشأتها وحتى الآن، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م، ص١٣.

(٣) يقال لهذه المنطقة الخرنفش أو الخرنشف على حد قول المقريزى.

(٤) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢، ص٦٤.

(٥) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢، ص ص٤٨٢-٤٨٤؛ د. عبد المنعم سلطان عبد الحميد، المرجع السابق، ص٢٠.

(٦) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢، ص٦٤.

(٧) المقريزى، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.
تحدث المقريزى عن "سوق الخلعيين" فى موضع آخر من خططه فقال إنه "يقع فيما بين قيسارية الفاضل وبين باب زويلة الكبير- الذى شيده بدر الجمالى-". انظر: المصدر السابق، جـ٢، ص٤٧٧.

(٨) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢، ص٣٥٩؛ أبو السرور البكرى، قطف الأزهار من الخطط والآثار، مخطوط بدار الكتب المصرية، جغرافية رقم

٤٥٧،ورقة ١١٥؛ على باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، جـ٦، ١٩٨.

(٩) على باشا مبارك، المصدر السابق، جـ٢، ص١٢٩، جـ٦، ص١٩٨.

(١٠) على باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة، جـ٢، ص١٢٧.

(١١) د. محمد محمود الجهينى، د. أحمد عيسى أحمد، مصنع تكرير سكر من العصر العثمانى فى ضوء وثيقة وقف الجمالى محمد عبد الله، مجلة كلية آداب قنا، العدد ٣، ١٩٩٤م، ص ٦٢-٦٣. حاشية ١٣. ويعرف الباحثان الأنماط بأنها ستور الهوادج التى كانت تركب على الجمال. فى حين يرى باحث آخر أن النمط هو ظهارة الفراش وهو ضرب من الثياب المصبغة،ويطلق أيضاً على نوع من البسط الرقيقة، انظر: د. عبد المنعم سلطان عبد الحميد، المرجع السابق، ص٢١؛ د. محمد محمود الجهينى، خطط القاهرة فى جنوبها الغربى- الجودرية- المسطاح- المحمودية- منذ نشأتها حتى نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر،دكتوراة، آثار القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٤١-٤٢.

(١٢) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢، ص٦٤.

(١٣) باب زويلة الأول: حدد العلماء موضعه فى المكان الذى به المسجد المعروف قديماً بابن البناء، ويطلق العامة عليه فى عهد المقريزى "مسجد سام بن نوح". انظر المقريزى، المصدر السابق، جـ٢، ص٦٤.

(١٤) المقريزى، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(١٥) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢، ص٤٧٨.

(١٦) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢، ص٦٤.

(١٧) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢، ص٤٦٩؛ على باشا مبارك، المصدر السابق، جـ٢، ص١٣٠.

(١٨) محكمة الباب العالى، سجل ٣١٣، ص٤٤١، مادة ١٠٠٣، والوثيقة مؤرخة فى ٨ ذى القعدة ١٢٠٦هـ/١٧٩١م.

(١٩) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢، ص٦٥، ص٤٦٩.

(٢٠) عن ترجمة القاضى عبد الرحيم البيسانى انظر: ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر ٦٠٨-٦٨١ هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٨م، مج٣، ص ص١٥٨-١٦٣؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، بدون، ج٦، ص١٥٦؛ على باشا مبارك، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٩، ج٦، ص١٩٩.

(٢١) محمد سيف النصر أبو الفتوح، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك، رسالة دكتوراة، مخطوط، كلية الآداب بسوهاج، ١٩٨٠م، ص٢٣٣؛ على باشا مبارك، المصدر السابق، ج٦، ص١٩٨؛ محكمة الباب العالى، سجل ٣١٣، ص٤٤١، مادة ١٠٠٣. وحمام السكرية مسجل بخريطة آثار مدينة القاهرة برقم (٥٩٦).

(٢٢) د. حمزة عبد العزيز بدر، نص وثائق يلقى أضواء جديدة على حمام السكرية، مجلة كلية الآداب بسوهاج، عدد ٢٩، ج١، مارس ٢٠٠٦، ص٦٧٨.

(٢٣) على باشا مبارك، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٩.

(٢٤) المقريزى، المصدر السابق، ج٢، ص ص٣٥٩-٣٦٠.

(٢٥) د. حمزة عبد العزيز بدر، المرجع السابق، ص٦٨٦؛ وثيقة وقف عثمان المطرباز محفوظة بأرشيف وزارة الأوقاف تحت رقم ٣٣٧.

(٢٦) الوثيقة ٣٣٧/ أوقاف قديم؛ محكمة الباب العالى، سجل ٣١٣، ص ص٤٤١-٤٤٥ وهما وثيقتا وقف من العصر العثمانى، الأولى مؤرخة فى ربيع الآخر ١١٨١هـ/١٧٦٧م، والثانية مؤرخة فى ٨ ذى القعدة ١٢٠٦هـ/١٧٩١م.

(٢٧) الوثيقة ٣٣٧/ أوقاف قديم؛ د. حمزة عبد العزيز بدر، المرجع السابق، ص ص٦٨٩-٦٩٠.

(٢٨) المقريزى، المصدر السابق، ج٢، ص٤٤٩.

(٢٩) النويرى (شهاب الدين أحمد عبد الوهاب)، نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق د. الباز العرينى، مراجعة د. عبد العزيز الأهوانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٣١، ص١٠٦.

(٣٠) نشر د. محمد محمد أمين وثائق وقف السلطان قلاوون ١٠١٠/ أوقاف قديم والوثيقة رقم ١٥/ محفظة رقم ٢/ دار الوثائق القومية فى كتاب «تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه» للحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م، جـ١. وتتضمن الوثيقة الثانية كتابين الأول مؤرخ فى ١٢ صفر ٦٨٥هـ/٩ أبريل ١٢٨٦م، والثانى مؤرخ فى ٢١ صفر ٦٨٥هـ/١٨ أبريل ١٢٨٦م.
ونشر د. محمد سيف النصر أبو الفتوح الوثيقة رقم ٧٠٦/ أوقاف جديدة، إضافة لدراسته الموسومة بـ: «منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك» السابق الإشارة إليها؛ د. محمد حمزة إسماعيل الحداد، السلطان المنصور قلاوون (تاريخ- أحوال مصر فى عهده- منشآته المعمارية)، سلسلة صفحات من تاريخ مصر رقم ٢٢، مكتبة مدبولى بالقاهرة، ط أولى ١٩٩٣م، ص١٢٨ وما بعدها.

(٣١) هامش بالوثيقة رقم ٧٠٦/ أوقاف جديدة؛ د. محمد سيف النصر أبو الفتوح، المرجع السابق، ص٤٦.

(٣٢) محمد سيف النصر أبو الفتوح، المرجع السابق، ص١٠٥.

(٣٣) الوثيقة ٣٥٣/ دار الوثائق القومية؛ محكمة الباب العالى، سجل ٣١٣، ص ص٤٤١-٤٤٥، مادة ١٠٠٣.

(٣٤) الوثيقة رقم ٣٥٣/ دار الوثائق القومية؛ د. محمد الجهينى، د. أحمد عيسى، المرجع السابق، ص٤١-٤٢.

(٣٥) الوثيقة ٣٥٣/ دار الوثائق القومية، سطر ٢٠٩-٢١٠.

(٣٦) نفس الوثيقة، سطر ٢٠٦-٢٠٩.

(٣٧) د. محمد الجهينى، د. أحمد عيسى، المرجع السابق، ص٤٠-٤١.

(٣٨) نفيسة البيضاء: هى السيدة نفيسة خاتون، التى كانت سرية ومحظية للأمير على بيك الكبير ثم أعتقها وتزوجها لولعه وحبه الشديد لها، وكانت تتمتع بقوة الشخصية، ورجاحة العقل، ولذا كانت واحدة من أعظم نساء عصرها. ولما مات زوجها على بيك الكبير، تزوجها الأمير مراد بيك- الذى تولى الإمارة بعد موت سيده- فنسبت إليه فقبل لها نفيسة المرادية التى ازداد

ثراؤها بعدما ورثته عن زوجها المتوفى. اشتهرت بالجود والكرم والعطف والبر على الفقراء، وكانت مسموعة الكلمة لدى الأمراء وحتى مع الفرنسيين بعد احتلالهم لمصر، وكانوا لا يردون لها كلمة، ويقبلون وساطتها. توفيت هذه السيدة الجليلة عام ١٢٣١هـ/١٨١٦م بمنزلها بدرب الشيخ عبد الحق السنباطى بالأزبكية، ودفنت بحوش أسرتها بالقرافة الصغرى. انظر: عبد الرحمن الجبرتى، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولى بالقاهرة، ١٩٩٧م، جـ٥، ص١٢٨١؛ نجيب توفيق، أم المماليك، دار العرب للبستانى بالقاهرة ١٩٨٩م، ص٤٤؛ د. عاصم محمد رزق، أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة، مكتبة مدبولى بالقاهرة، ٢٠٠٢م، جـ٥، مج٢، ص٢١٨٦؛ عماد عبد الرؤوف محمد الرطيل، الوكالات العثمانية الباقية بمدينة القاهرة، دراسة آثارية معمارية، دكتوراة، آثار القاهرة، ١٩٩٣م، مج١، ص١٥٠-١٥٣.

(٣٩) محكمة الباب العالى، سجل ٣١٣،م ادة١٠٠٣، ص٤٤٥.

(٤٠) محكمة الباب العالى، سجل ٣١٣، مادة ١٠٠٣، ص٤٤٢.

(٤١) بدر الدين القرافى، سؤال وجوابه عن إسقاط الحق فى الوظائف، مخطوط بدار الكتب المصرية، فقه تيمور ١١٠، ٢٢، ٢٣، د. محمد عفيفى، الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٤٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، ص ١٦٧-١٦٨.

(٤٢) د. محمد عفيفى، المرجع السابق، ص ص١٦٨-١٧٠.

(٤٣) د. محمد عفيفى، المرجع السابق، ص ص١٦٨-١٧٠.

ظهرت فئة من التجار المتاجرين فى الخلو وهم الذين يستأجرون حق منفعة الخلو فى مكان معين ثم يبيعون هذا الحق بهدف التربح، وكانوا يكتبون فى العقد المبرم بينهم وبين مشترى حق المنفعة لفظ تبرع بدلاً من لفظ اشترى كنوع من التحايل، فورد فى وثيقة «تبرع الشيخ عبد المنعم بن يوسف بن بركات الحرير للشيخ شحادة الفيومى التاجر بسوق الشرب بمبلغ ٢٨٠

نصر فضة نظير إسقاط حق له من الخلو والسكنى فى البيت الكائن بالربع علو خان الزهار». انظر محكمة الصالحية، سجل ٣١٦، ص١٧٢، مادة ٦٢٢، والوثيقة مؤرخة فى جمادى الأولى ١٠٠٢هـ/١٥٩٤م.

(٤٤) د. محمد عفيفى، المرجع السابق، ص١٦٠، المقريزى، المصدر السابق، جـ٢، ص٤٩٤.

(٤٥) أثر رقم ٣٩٥.

(٤٦) ذكر الجبرتى أن من مآثر هذه السيدة «الخان الجديد والصهريج داخل باب زويلة». وعن هذه الوكالة والخان انظر: الجبرتى، المصدر السابق، جـ٥، ص١٢٨١؛ د. عماد عبد الرؤوف محمد الرطيل، المرجع السابق، ص١٥١ وما بعدها؛ د. عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص ٢٢٠٠؛ د. محمد الجهينى، د. أحمد عيسى، المرجع السابق، ص٤٠-٤١؛ د. حمزة عبد العزيز بدر، المرجع السابق، ص٦٨٩-٦٩٠.

(٤٧) محكمة الباب العالى، سجل ٣١٣، ص ص٤٤١-٤٤٥، مادة ١٠٠٣.

(٤٨) يقصد بذلك حمام السكرى المخصص للرجال.

(٤٩) يقصد كاتب الوثيقة وكالة التفاح. التى سيأتى تعريفها فى الهامش ٥٢.

(٥٠) محكمة الباب العالى، سجل ٣١٣، ص٤٤١،مادة رقم ١٠٠٣.

(٥١) الوثيقة السابقة، الصفحة نفسها.

(٥٢) تحدث المقريزى عن فندق دار التفاح فى خططه جـ٢، ص٩٣-٩٤ طبعة بيروت، فقال إنه يقع تجاه باب زويلة، ترد إليه الفواكه على اختلاف أصنافها مما ينبت فى بساتين ضواحى القاهرة، ومن التفاح والكمثرى والسفرجل الواصل من البلاد الشامية... وقد هدم علو الفندق وما بظاهره من الحوانيت عام ٨٢١ هـ. ويفهم مما جاء فى وثيقة وقف نفيسة البيضاء أن وكالة أو قيسارية الفاضل عرفت فيما بعد بوكالة التفاح. انظر مسلسل الأماكن التى آلت لنفيسة البيضاء رقم ٣٤.

(٥٣) نلاحظ أن كاتب وثيقة وقف الست نفيسة البيضاء أطلق على المسافة المحصورة بين حمام السكريين وباب زويلة عدة مسميات أولها: خط باب زويلة، ثانيها سوق السكريين وثالثها خط السكريين.

(٥٤) يفهم من ذلك أن ربع الزهار كان يطل على عطفة حمام الفاصل المخصص للنساء وربع الزهار هو ما كان يعرف أولاً بربع الفاضل، انظر الحاشية التالية (٥٥) ويفهم أيضاً مما جاء بالوثيقة أن الدور السفلى من ربع الفاضل هو الذى يطلق عليه ربع الزهار وأن ما يعلوه يعرف بربع الفاضل ولكن كاتب الوثيقة تعود مرة أخرى ويذكر الاسم القديم «ربع الزهار» للدور السفلى. انظر المسلسل رقم ٥٢، ٦٢ الخاص بالأماكن والوحدات المعمارية التى آلت للست نفيسة البيضاء عن طريق الخلو.

(٥٥) إذن ربع الفاضل عرف بعد ذلك فى العصر العثمانى بربع الزهار ثم عرف أيضاً بربع الفران، وإن كانت تسميته الأولى هى الغالبة والمشهورة بدلالة ما ورد فى وثيقة وقف الست نفيسة البيضاء.

(٥٦) إذن وكالة الفاضل عرفت فيما بعد بوكالة التفاح. انظر مسلسل رقم ٤٥ الخاص بالأماكن التى آلت لنفيسة البيضاء بالخلو.

(٥٧) نلاحظ أن كاتب الوثيقة أطلق على منشأة السلطان المؤيد شيخ ثلاث مصطلحات مسجد وجامع ومدرسة.

(٥٨) انظر الحاشية رقم (٥٦) من هذا البحث.

(٥٩) جامع المؤيد شيخ (أثر رقم ١٩٠)، وعنه انظر:

المقريزى: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٥٢-٢٥٦؛ حسن عبد الوهاب،تاريخ المساجد الأثرية، ص ص٢٠٧-٢١٤؛ د. سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٨٠م، ص ص٩٥-١٠١؛ د. فهمى عبد العليم، العمارة الإسلامية فى عصر المماليك الجراكسة «عصر السلطان المؤيد شيخ»، المجلس الأعلى للآثار، مشروع المائة كتاب، مسلسل رقم ٣٣، ٢٠٠٣م.

(٦٠) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢، ص٦٢٨.

(٦١) المقريزى، نفس المصدر والصفحة.

(٦٢) المقرزى، المصدر السابق، جـ٢، ص٤٤٥.

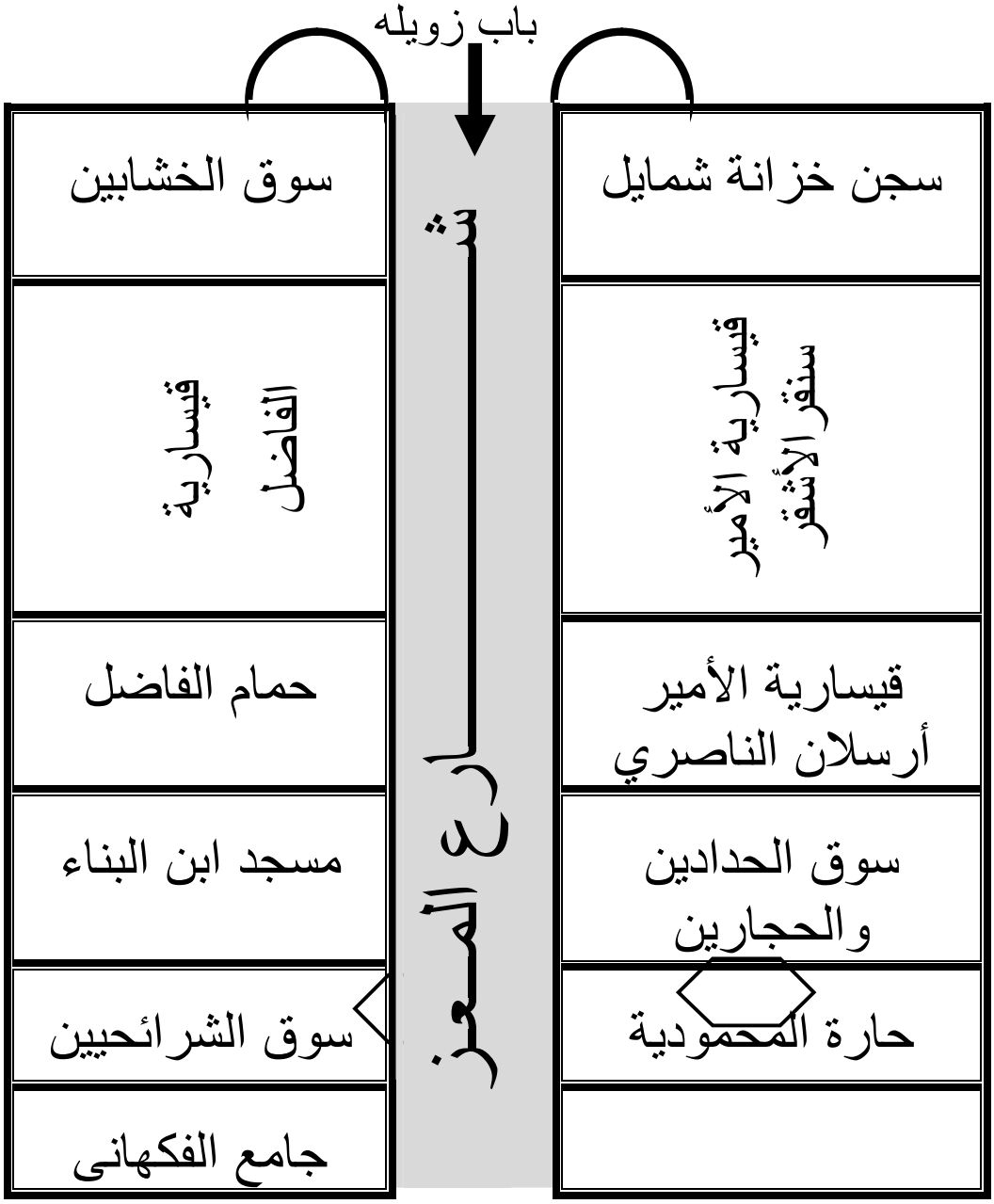

تصور (أ) لمواقع الأسواق والعمائر في العصر الفاطمي

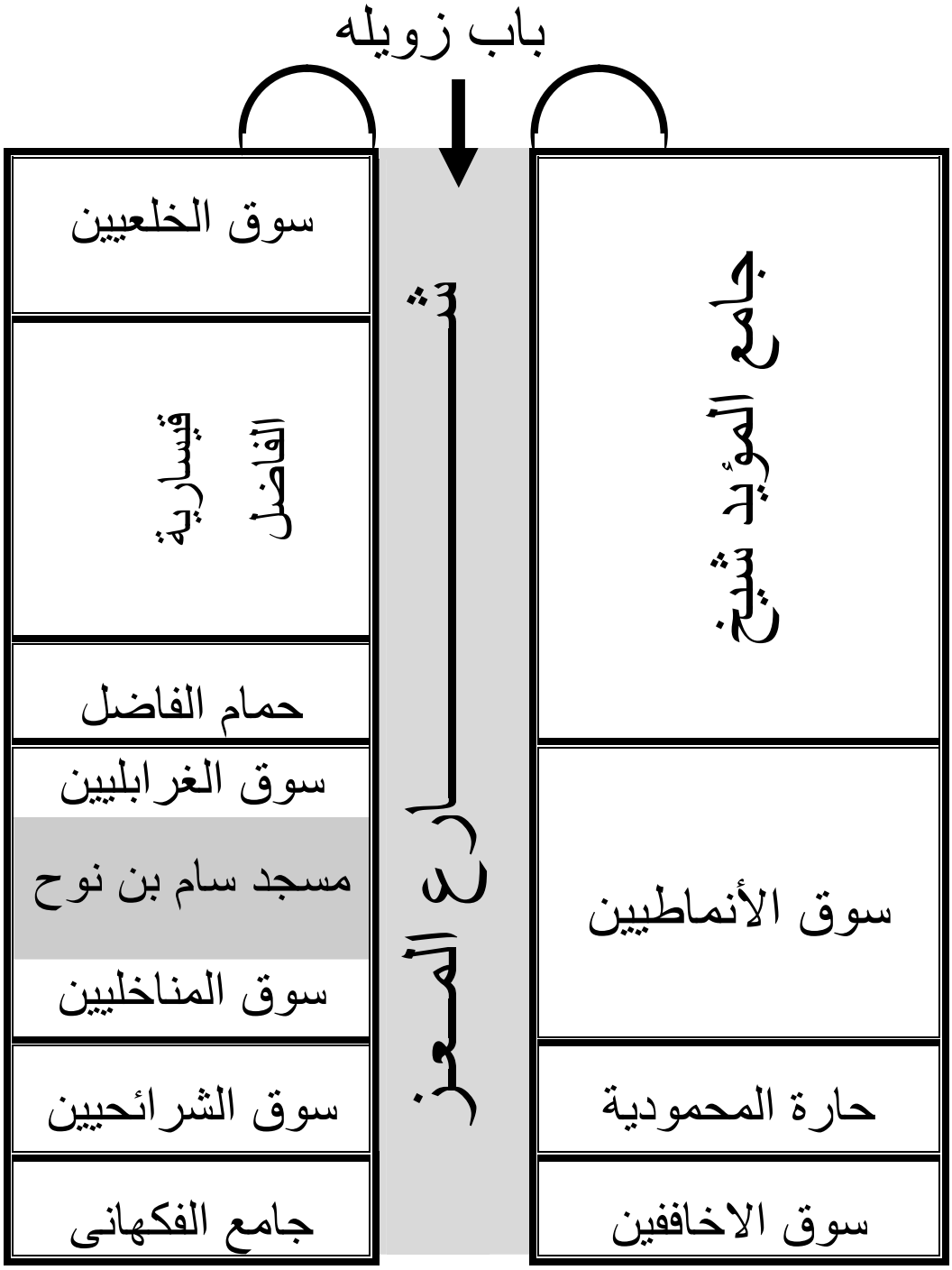

تصور (ب) لمواقع الأسواق والعمائر في العصر المملوكي

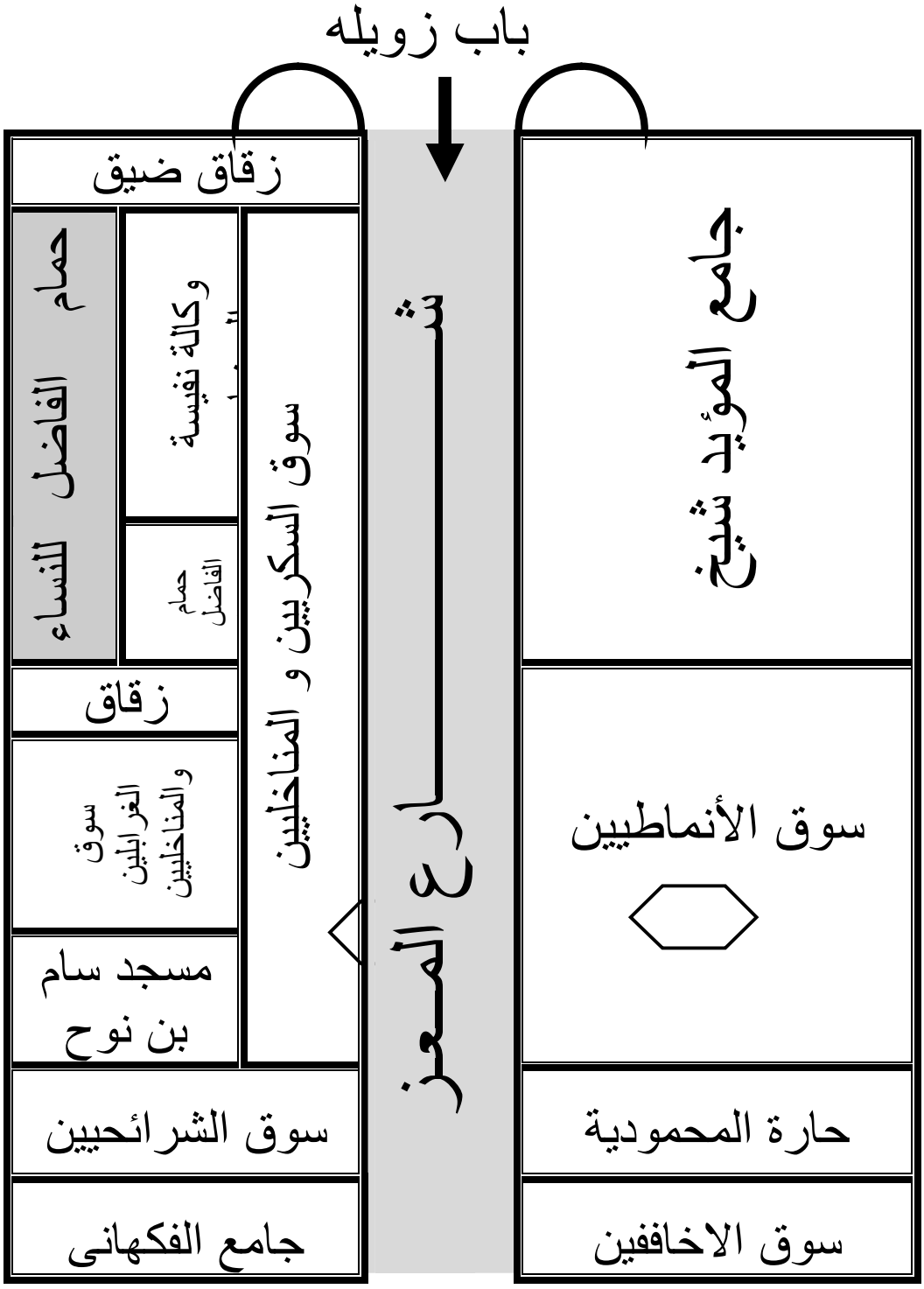

تصور (ج) لمواقع الأسواق والعمائر في العصر العثماني

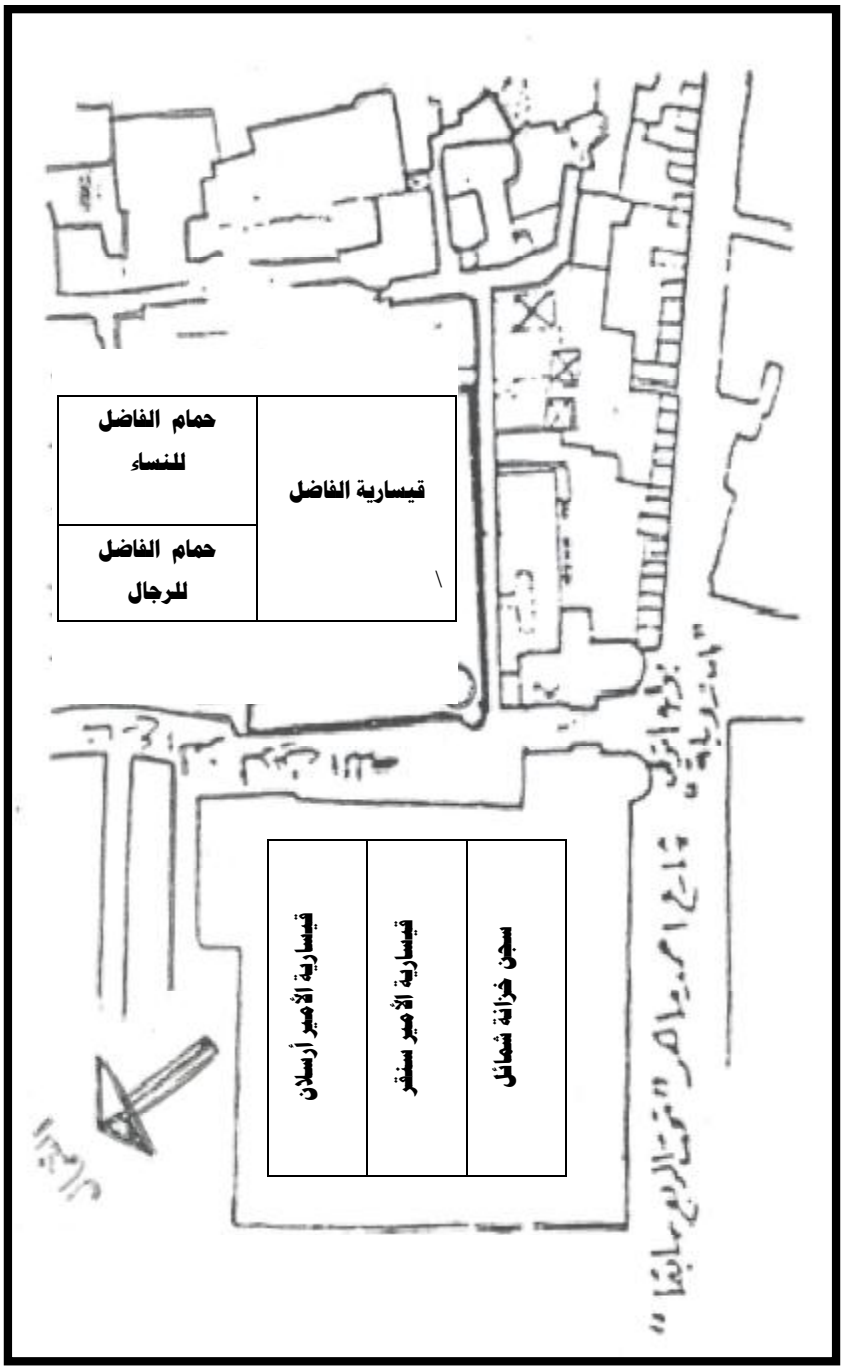

شكل (١)مواقع العمائر بخط باب زويلة والسكريين في العصر الفاطمى

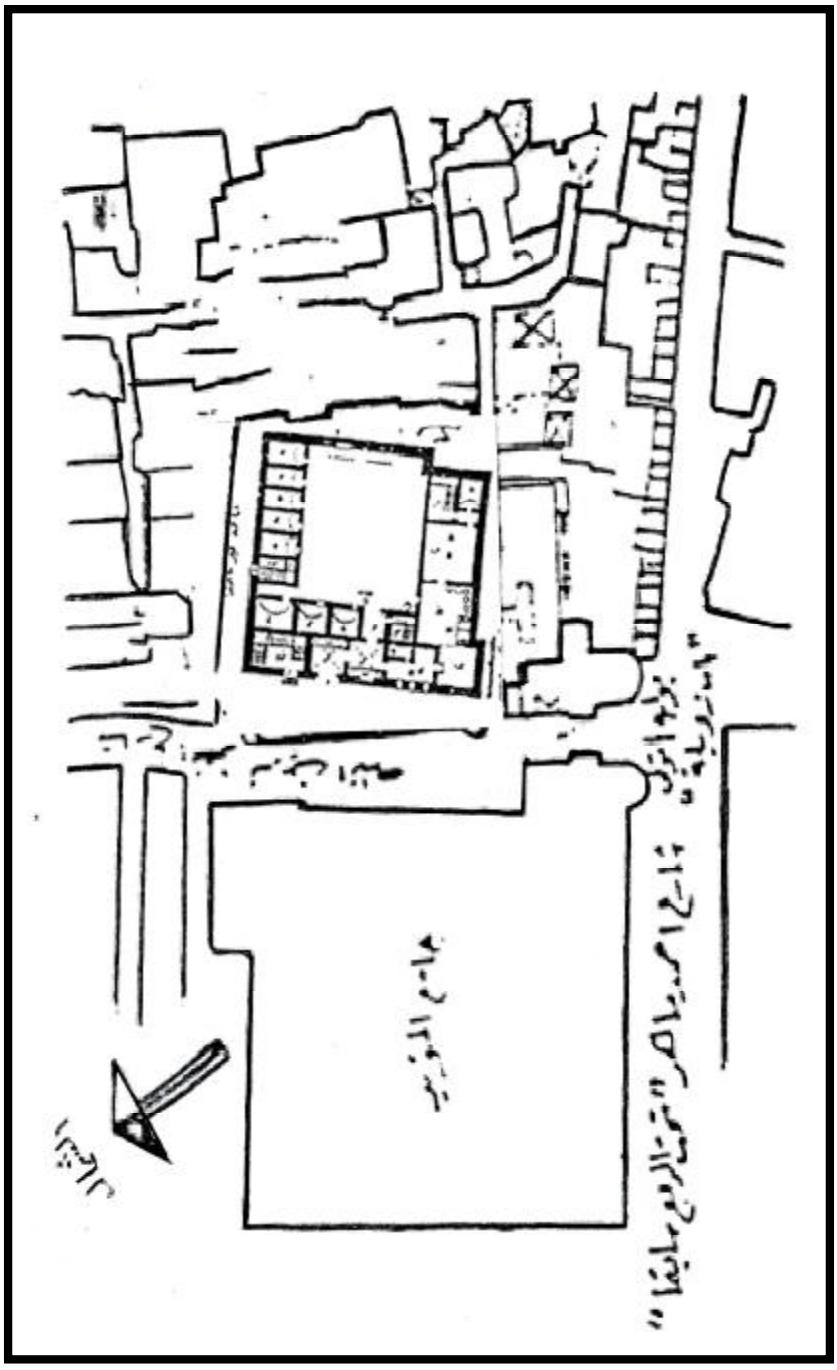

شكل (٢)مطبخ السكر من العصر العثماني نقلاً عن د. محمد الجهيني و د. احمد عيسى ، المصدر مجلة كلية الآداب بقنا ١٩٩٤م

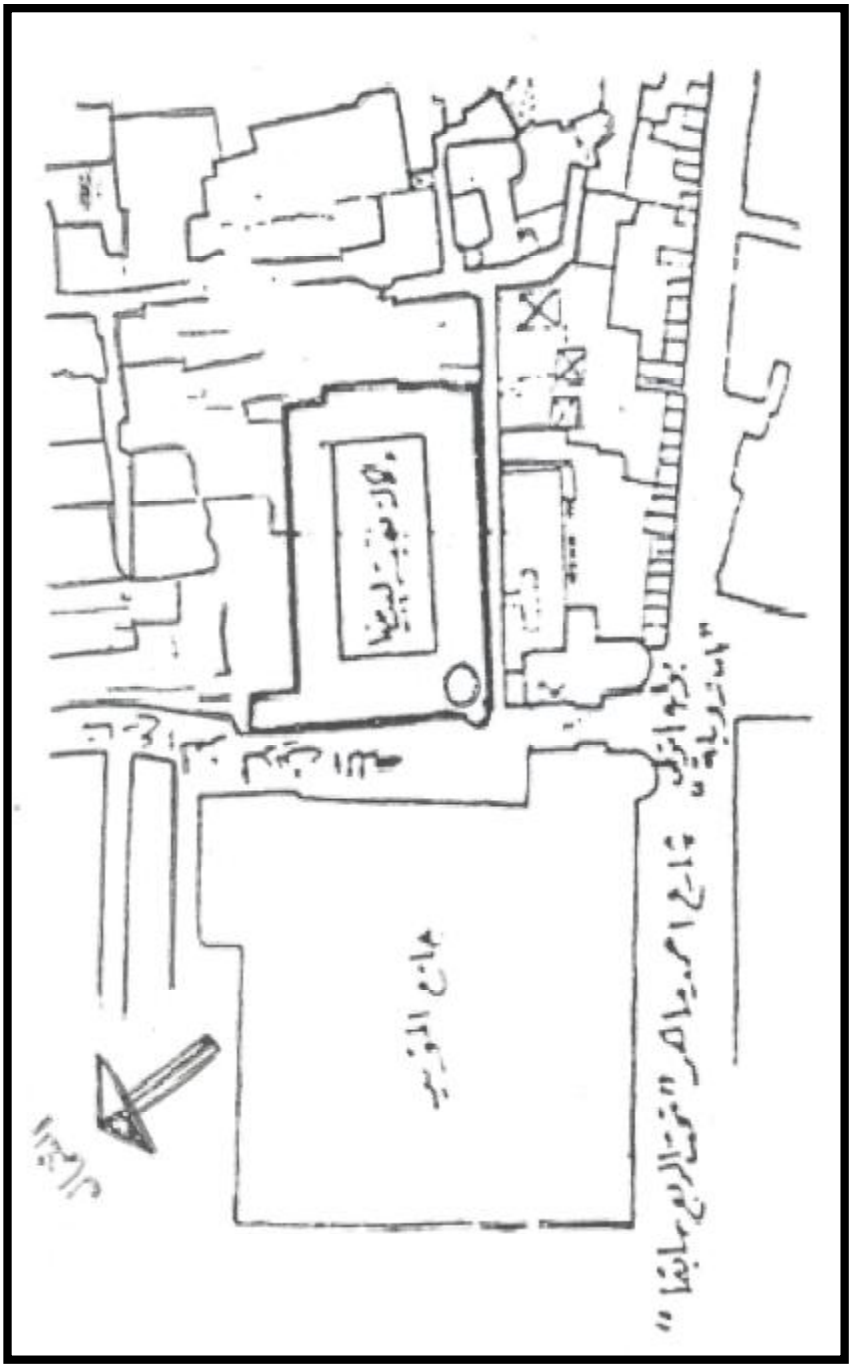

شكل (٣)وكالة نفيسة البيضاء وسبيلها نقلاً عن د. محمد الجهيني و د. احمد عيسى ، المصدر مجلة كلية الآداب بقنا ١٩٩٤م

لوحة (١) الواجهة الغربية لوكالة نفيسة البيضاء

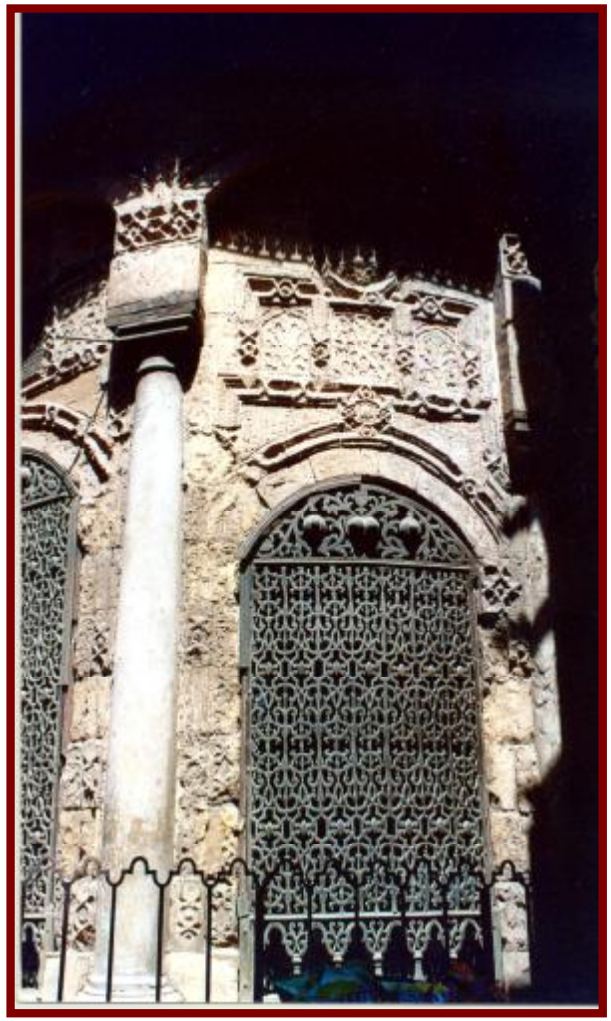

لوحة (٢) الجزء السفلى من سبيل الست نفيسة البيضاء

لوحة (٣) الجزء العلوي لوكالة الست نفيسة البيضاء وسبيلها